

ضوء الذاكرة يتردّد أمام الجروح (لويس أراغون)

ألفرد بصبوص الفطري الموهوب المجرب لم ترهبه طرق النحت الوعرة



كان ألفرد بصبوص
مجرباً غزير الإنتاج
عالج الحجر والخشب
والمعدن فأصاب
حين أصاب

جزءها، وهي الجزء الضروري، مادياً وروحياً، من أجل اكتمال أجزاء الارتباط المفضي إلى الخلق. ثمة حب كبير في كل ما ذكرنا، وثمة لحمية عضوية مع الآخر في منحوتات ألفرد بصبوص. "لا يحتاج الشخص لينجح إلا إلى حب وإيمان، وإلى قليل من الجنون". ذلك الجنون قد يترجم حركة لا تهدأ وميلاً إلى التجريب، في مناخ لا يخلو من المفوات التي تصبح أمراً واقعاً وضرورياً، من أجل الانتقال إلى عمل آخر، إلى "صخرة يخلقها الفنان ويكونها مجدداً".

كان ألفرد بصبوص مجرباً، غزير الإنتاج، عالج الحجر والخشب والمعدن، فأصاب حين أصاب، وحين كانت تختلط عليه الأمور، وهي تختلط على أكبر العارفين وأهم المحترفين، يعود إلى أصوله وإلى فطرته المجدولة بتراب راشانا وبجوارب الشقيقتين الآخرين كي يجد الحل المناسب لكل معضلة. على ذلك التراب سيتترك لنا حجارة اتخذت وجوه الحياة ومعانيها، في تعدد أحجامها واختلاف ألوانها التي ستذكر، قبل كل شيء آخر، بالأرض وبالهوية.

يغيب ألفرد بصبوص في وقت يطغى الهم السياسي على سواه من الهموم. يذهب ألفرد ليستريح إلى جوار شقيقه في عالم آخر كان أصحابه، وهم أحياء، يحاربون الواقع بأسلحتهم الخاصة، وربما كانت حالهم كحال دوستوفسكي الذي قال، ذات يوم إن "الجمال سينقذ العالم". هذا القول، الذي قد يراه البعض طوباوياً، يحمل في ثناياه جانباً كبيراً من الحقيقة الواقعية. فحضور الجمال واجب، وهذا الحضور بديهي في مجال التشكيل الفني، وليته ينسحب كذلك على عالم السياسة.

محمد شرف

لكن هذه المرأة قد لا تكون وحيدة، فهي لديه رمز للخلق، وهي الجسد الذي سيحمل في داخله بذور حياة جديدة، وتصير المرأة عندها أما. ثنائياً أخرى في حجم واحد يتمدد ويتشعب، من دون أن ننسى أن الثنائية الأولى، التي ذكرنا، قد تكون المرأة احد

طريق ثنائي سيسلكه ألفرد، فالشكل العام أو المنحوتة، ستصبح لديه ذات هوية بقوة الأيحاء، من دون الوقوع في تفاصيل التشخيص، وقد يصير الحجم المجرد من تلك التفاصيل، في بعض جوانبه تمثيلاً، بقوة التأويل.

ثنائية من نوع آخر ستظهر في بعض أعماله، ثنائية في الاتجاه الواحد وفي المنحوتة نفسها، التي ستتحول جسمين منفصلين أحدهما عن الآخر، ومرتبطين في الوقت نفسه. وحين تكون الكتلتان منفصلتين تماماً تحول دون فردية كل منهما مسافة صغيرة، مغناطيسية، تجذب أحدهما إلى الأخرى، أما في حال الارتباط فقد نشهد أحيانا نوعاً من الاسترخاء في ما يشبه البعد بين حركتين، ثم يقوى هذا الارتباط ليلتصق "الجسدان" في حركة واحدة. وفي كلا الحالتين يكون للكتلة، حجرية أكانت أم خشبية، بعدها الرمزي وإيحاءاتها الخاصة. بعد رمزي يزداد تألقاً حين يغيب الجزءان في لحمية واحدة، من دون أن يتحول الشكل جسماً اصم، فهناك، غالباً، فراغ ما يتخذ انحناءات مختلفة ويخترق المنحوتة، ثقب يشبه صلة الوصل بين عالمين، أو نافذة تطل على عوالم أخرى. وما بين هذا الجزء وذاك، المحيطين بالفراغ أو المعانقين له، هنالك لغة تخاطب سرية، وتوازن في الكتلة بين قطبيها.

في معظم تلك الأشكال سنرى المرأة هاجسا لم يفارق أعمال ألفرد بصبوص يوماً، وإن ضاع أحيانا في متهافتات اللاوعي فسيعاود الظهور من جديد. "ذات يوم وقعت على صورة امرأة عارية في إحدى المجلات. عالجتها على الصخر بتصرف. مددت حية على جنبها، وامسكتها تفاحة في يدها". كان ذلك هو لقاء ألفرد الأول مع الأنثى، وستليه لقاءات أخرى في مرحلة سيصبح النحات أكثر نضجا وأبعد أفقا، وحينها أي حين ينصرف إلى المرأة، ستصير خطوط منحوتته أكثر استدارة وانسيابا والتفافا على نفسها، ضمن تحرر واضح من الخط الهندسي، ومن التزام القواعد الأكاديمية. وليس من قبيل الصدفة أن تأتي المنحوتات التي تجسد المرأة ذات سطح، أو سطوح، ملساء، كأن الأزيميل لم يلامسها، في إشارة رمزية إلى البشرة الأنثوية التي تتميز، قبل كل شيء آخر، بنعومتها. تلك النعومة التي تفويها ولا تترك ألفرد لامباليا أمام الجمال، وهو الذي سيدركه قبل سواه، ليحقق شرطا أساسيا من شروط المعرفة البصرية.

الجسر

غادرنا ألفرد بصبوص، الركيعة الثلاثة في سبب البصاصة، بعد صراع طويل مع المرض. لقد رحل بالجسد وبقيت روحه حية في إبداعاته النحتية الجمّة والتي تعدّ أربنا ثمينا يضمّ إلى عطاءات فنانينا الكبار.

حين تخلى ألفرد بصبوص عن شاقوفه واستل أزيميل الموهبة والخلق لم يكن يدري أن طريق الفن ودروبه شائكة جدا، كما حذره يوماً شقيقه الأكبر ميشال، رائد النحت الحديث في لبنان، لم يكن يعرف ضخامة التحدي الذي اختاره. لكن سر الموهبة سهل هذا الخيار وجعل من البساطة والصدق والممارسة الفطرية لديه، حلا لموجات القلق ومصاعب الخلق.

تفرد ألفرد بصبوص بإنسانيته الصادقة وبفطريته الطبيعية فأنت أعماله مثالا للصدق والرومنسية الشعرية. يجري ألفرد بصبوص وراء أحساسه المبسط فتقوده المواد إلى مكان من الغبطة والجمال.

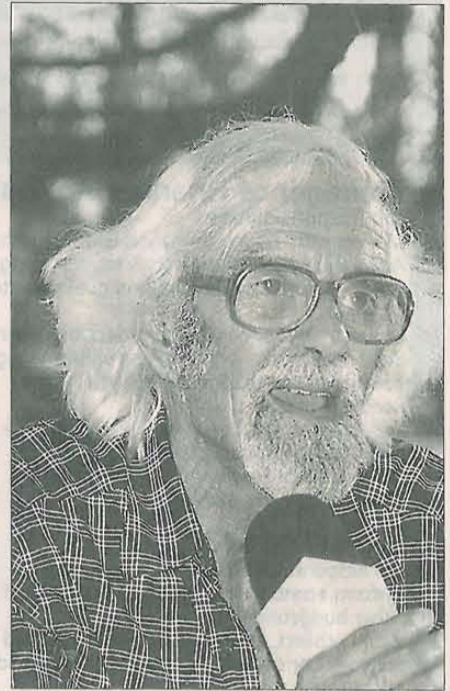
ببساطة الفلاحين ومهارة البنائين، شيّد ألفرد بصبوص عالمه الجمالي المتكشف، فأنحاز تلقائياً إلى الأشكال الانثوية الخفيرة والأحجام التجريدية الصرفة. حفر بإزميله وفلج بصاروخه قساوة المواد من صخور وأخشاب، ووشم على صفحات أحجامها وأشكالها تقيمشاته المرتعشة بمهارة الفنانيين المحترفين الكبار ولمساتهم.

عمل أزيميله في ثقب المادة الخام، معلناً اقتحاماً لعذرية الفضاء وخصوبة لفعال التشكيل. في معالجاته الجسد الانثوي خفر روحاني رومنسي، ربما من أحد أسبابه التربية الدينية التي نشأ عليها في كنف والده رجل الدين خوري الضيعة.

وبحكم توسطه لشقيقه ميشال ويوسف جعل ألفرد من فنه جسراً صنع منه صنواً لشقيقه الأكبر ميشال ورافعة إنسانية فنية لشقيقه الأصغر يوسف، فأنصهرت إبداعات الاخوة مكونة من إقانيهم الثلاثة كياناً واحداً عرف بـ "فن البصاصة".

وداعاً ألفرد بصبوص وتحية أجلال لفنك وسلاماً لروحك الطاهرة.

مارون الحكيم



يرحل ألفرد بصبوص، صاحب البنية القوية والنحيفة في آن واحد، في زمن صعب وقاس كالحجر الذي تعامل معه طوال ما يقرب

غياب

من النصف قرن، ومع بداية عام جديد تشير عناوينه العريضة إلى مجهول لا نعرفه.

رحيل ألفرد بصبوص يعني غياب الممثل الأثير للجيل الأول من "البصاصة". كان ميشال ويوسف قد سبقه إلى العالم الأخر تاركين من ورائهم راشانا، القرية الصغيرة التي لا يفوق عدد سكانها الألف، والتي سيلتصق اسمها باسم العائلة التي زرع أفرادها أرضها، وما زالوا يزرعون، منحوتات ستبقى شاهدة لعلاقة الإنسان بالأرض، من خلال... الحجر.

"ورث النوتي هذا العلم المتكامل أبا عن جد"، يقول مظفر النوب، وأصفاً حال النوتي الذي يصارع الأمواج في إحدى قصائده التي لم نسمعها إلا من فمه، ولم نرها منشورة لما تحمل في طياتها من تجريح بالأنظمة والحكام. لمظفر النوب دربه "الهجومية" وأدواته، وللبصاصة الذين ورثوا النحت أبا عن جد درب آخر لا يقل عنفاً في تعامله مع القساوة. وإذا كان درب مظفر النوب يتوخي ثورة، فعنف آل بصبوص يقود إلى الجمال، ولكل طريقتيه في التعبير طالما أن النتيجة ستكون في خدمة القضية، كل قضية، بالرغم من الغبن الذي لحق بهذه الكلمة، خلال سنوات زمننا العجاف.

ميشال بصبوص، الشقيق الأكبر، هو كذلك الأب الروحي الذي لم يشجع ألفرد في البداية، وراشانا هي المساحة التي تكفي لكل أنواع الأرهصاصات والتجارب، لكن باريس محطة لا بد منها. باريس تعطي كما تشاء، ونأخذ منها بحسب ما نريد، "تلك المدينة وما فيها من حضارات مختلفة، تدعوك بالفعل والقوة معا إلى ممارسة الفن"، على قول ألفرد بصبوص الذي ذهب إليها كي يمارس النحت. ممارسة تتمتع بتلك الهجومية التي ذكرنا، فألفرد سينجز رأساً لامرأة شرقية خلال يومين، مما سيدفع كوللاماريني إلى أن يصرح: ستضطرنا إلى فتح مقلع جديد في باريس إذا كنت ستنتج منحوتة في يومين. سرعة الإنتاج هذه وغزارته ستكونان، إضافة إلى مزايا أخرى، خطوطاً رئيسية في مسيرة النحات. لكن الحماسة والتوق إلى العمل والخلق لا تكفي، ولم تجنب النحات الوقوف أمام الأسئلة الكبرى: الأسلوب، الخيار التقني، المادة، المدلول الفني، وأسئلة أخرى كثيرة في حاجة إلى اجوبة.

لم يشجع ميشال شقيقه في البداية خوفاً عليه من سلوك "طرق النحت الوعرة"، وألفرد الذي يولي أهمية استثنائية للموهبة الفطرية سيجد نفسه، عاجلاً أم آجلاً، أمام مفترق تصارع على أرضه فنانون كثر على مدى القرن العشرين، تصارعوا مع أنفسهم ومع محيطهم قبل سلوك أحد طريقتين، التشخيص أو التجريد، وما يحيط بهما من اتجاهات وتيارات، أو طريق ثالث يجمع ما بين الاثنين، يأخذ تارة من هذا وطورا من ذلك، بحيث تميل الكفة في هذا الاتجاه حيناً ويسير الدرب في الاتجاه الآخر أحيانا أخرى، بحسب حيثيات الموضوع والظرف وأحوال المزاجي.